مدخل لدراسة تاريخ المغرب القديم

- درج الاصطلاح التاريخي على تقسيم أطوار حياة البشرية منذ نشأتها إلى اليوم على مراحل زمنية.
- فهي لا تخرج عن التقسيمة الثلاثية: قبل التاريخ، قبيل التاريخ والتاريخ.
- وتنقسم هذه الثلاثية بدورها إلى محطات تاريخية حسب الخصوصيات الإقليمية للتطور، إلى: تاريخ قديم، وتاريخ وسيط، وتاريخ حديث، ثم تاريخ معاصر. هذا أشهر اصطلاح درج عليه أهل التاريخ.
- وقد عرفت بلاد المغرب هذه الأطوار التاريخية جميعها، واختصت كغيرها بمميزات زمنية وشكلية.
- فمصطلح "التاريخ القديم" عند المؤرخين: فترة زمنية محدودة في طريق تطور المجتمعات البشرية، مرتبطة بدرجة كبرى بأولى الحضارات الكتابية، أو المكتشفة للكتابة.
- فأول ما يظهر لنا أن هذا التمييز نسبي من وجهين: أنه يؤرخ للزمن التاريخي القديم ببداية الكتابة، باعتبارها عنصرا رئيسا لا أنها العنصر الوحيد.
- ثم أن هذا التحديد غير متوافق في جميع الحضارات البشرية؛ فطور الكتابة قد تقدم عند حضارات وتأخر عند أخرى، مما يلزم عنه اختلاف بداية العصر التاريخي من حضارة وإقليم لآخر.
- فإذا تتبعنا بداية ظهور الكتابة في الحضارات القديمة وجدنا أن حضارة بلاد الرافدين قد دخلت التاريخ ابتداء من 3400 سنة قبل الميلاد، حيث كان أول ظهور للخط المسماري في العهد السومري.
- وأن الحضارة الفينيقية الشامية قد دخلته حوالي 1700 سنة قبل الميلاد، بظهور كتابتها الأبجدية، هذا الاختراع الذي عده موسكاتي أعظم مساهمة لشعوب سوريا وفلسطين القديمة في مضمار الحضارة.
- والذي عليه المؤرخون أن دخول بلاد المغرب للتاريخ كان بانتقال الفينيقيين إليه، حيث انتقلت معهم لغتهم وكتابتها الأبجدية أي حوالي 1200 سنة قبل الميلاد.
- ثم إن عدم وجود كتابة بربرية ما قبل الولوج الفينيقي لا يمنع من إمكانية وجودها، خاصة إذا علمنا قوة الاتصال الحضاري بين بلاد المغرب ومصر القديمة، التي دخلت التاريخ والعصر القديم مبكرا، مما لا يبعد تأثيرها في البربر بكتابتها وحضارتها.
- ودرج المؤرخون على إنهاء العصر القديم والابتداء بالعصر الوسيط بالحوادث التاريخية السياسية الاجتماعية الكبرى.
- فإنا نجد نهاية العصر القديم الأوربي وبداية وسيطه مقترنة بنهاية الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة 476م.
- فإذا بحثنا في نقطة فاصلة في تاريخ المغرب القديم وجدناها في ذلك الفتح المقترن بالقرن السابع للميلاد (فتح طرابلس 64م) والمقترن بولوج القبائل العربية لتلك البلاد، وما أحدثه من ثورة سياسية واجتماعية ودينية، انقلبت به بلاد المغرب من الوجهة الحضارية الغربية إلى الوجهة الحضارية الشرقية.
- وعلى هذا يمكننا أن نضع تحديدا نسبيا للتاريخ القديم لبلاد المغرب؛ فهو يبدأ بالولوج الفينيقي حوالي سنة 1200 ق.م. وينتهي بالولوج الإسلامي في القرن السابع للميلاد.